# غموض في مصر القديمة

نبيلة قطب رشدي /مصر

مساءً غير عادي ، تشوقت إلى تفريغ شحنات من الكمد، الغيظ، الحشرجة... كنت دائمة التوجه لإحدى فعلتين للتخلص من أية عوالق روحية أُخرى؛ إما الصلاةُ أو الكتابة...
لم تفلح إحداهما هذه المرة- بالأحرى لم تكفِ-، ضاق البوح في الصلاة، فررت منها ضائق صدري بما رحب، لم أكن بالروحانية معتادة، نزحت إلى كومة من الأوراق... فرارًا من تذمرنا والعتاب، جاء صوته من بعيدٍ مناديًا: "احضري لي الشاي"

- نظرت غير مبالية.
- أعقبها بردة فعل غير مبالية هو الآخر...
- تجاهلته؛ لشخوص بصري على كتبي التي وطأها التراب وانهال عليها، حسبتها تعاتبني بإهمالي لها، فأعاتبه بإهماله لي... سُقِيتُ بما سَقَيْتُ

جذبت كتابًا فريدًا في علم المصريات، وجدت عيني في مواجهة الغلاف مباشرة، أجدني أحدق في عين حورس الإله لثوانٍ، برهةً وألَمٌ ينتاب جزئَي مخي يمينًا ويسارًا، غياب جزئي للوعي، يغلبني النوم...

---

صباح جديد أحياهُ في أبيدوس العريقة، تنساب خيوط ذهبية بإشارات من يد رع المضيئة، ينعكس اللون الذهبي على أرجائها الرخامية، على حين فواق تدب الحيوية في جسدي... أنتوي الخروج للتعلم على يد علماء أبيدوس، أتأمل طلاء أظافري من الحناء منذ ألفي عام على حالته من التوهج لم يبهت بعد، دهان شعري الزيتي يحتفظ بتثبيته وبريقه منذ أمد، أتأمل ذلك وأفخر بعلماء هذا الإقليم... أفخر أنني سانت ابنة بلدة أبيدوس

اعتدت مع نساء أبيدوس على ممارسة تمارين المرونة الجسدية (اليوجا)، الجبن الطازج إفطارهم المفضل، تخزنه النساء لآلاف الأعوام... يغلب عليهم هوس النظافة الشخصية... أستنشق طيب هواء هذا الإقليم، أَمُرُّ على المعابد التي يستوطنها العلماء، يُعِدُ أحدهم تقويمًا للأسنان، والآخر يكمل صنع فرشاة لها، أساعد أحدهم في تركيب طرف صناعي لامرأة في الخمسين من الجلد والخشب، يُخلع ويُنظف ويتم ارتداؤه بسلاسة، لم يهملوا صناعة المفاصل في هذه الأطراف الصناعية فهي ليست للزينة... أتعجب من براعة هؤلاء في مثل هذه العلوم...

أطالع عبقرية علماء أبيدوس في النحت، هوسهم بالإتيان بما هو غير تقليدي، براعتهم في علم التشريح... يدي على صدري أتحسس النسيج الوردي فوقهما، تمامًا عين تشريح الثدي المنحوت من قبل العالِم على تمثال موضوع لامرأة... أحاول مقارنة هذا التشريح المنحوت بثديي تعجبًا...

يدي تضغط على ثديي –دون وعي- توقظني... أطالع ببطء جسدي الممد على مقعد مكتبي، بحوزتي الكتاب، في واجهتي عين حورس التي غفوت عليها، مسرعة أفتش في الكتاب... كومة تفاصيل حلم يقظتي مجسدة فيه، مرفقة بالصور... كل ما رأيته في أبيدوس حقيقة واقعة في الكتاب بسرد تاريخي، لُحيِّظة تبادر إلى ذهني تفسير ذلك... عين الإله حورس ترى ما وراء الإدراك العقلي... أصابني بقبس من تلك القوة، فتتجسد أمام عيني الكلمات على هيئة مشاهد وصفية... إنها قراءة تمثيلية!

شعرت بعظم هذا القبس الفرعوني، حياة مليئة بالشغف أصابني بها حورس... ظللت عاكفة على الأمر أفكر فيه طيلة اليوم، أكانت أضغاث أحلام، أجيب نفسي ذات الوقت في قرارة نفسي نفيًا، الأضغاث لا تعلم مسبقًا...

---

مسرعة أنجزت ما عليّ من واجبات، متتوقة لتلك القراءة التمثيلية مجددًا، أنعمُ بما أصابتني به عين هذا الإله، عاودت خطوات الأمس بشغف، نظرت إلى هذه العين مجددًا، في توق لأطالع الأساطير... أعاود القراءة التمثيلية مرة أخرى...

شيء من العاطفة أردته، رنوت إلى خفايا الحياة المصرية القديمة، أرشدني ذهني إلى مثل مصري قديم، تردد كثيرًا في السياقات العاطفية... (الحب أعمى... يقوده الجنون)
شرعت في ذلك... اتخذت جلستي، توحدت نظرتي مع عين الإله... غياب وعي من جديد... سبات، غفوة...

---

سماء ملبدة بالغيوم، مراقبة حادثة من الشعب... تصارع بين الآلهة، إله أوحد يصيح، يعلو تهليله وسط جميع الآلهة، يبرز عليه الجنون، يغلب عليه التوحد والكلام مع المجهول، شديد الهياج... إله الجنون، لا سبب معلن وراء كل هذه الصيحات، يرتعد الجميع بلا جدوى، هوس يعانق الظلام والغيوم...
يبرز من بين الغيوم طفل مدلل بجناحين، وديع المظهر مألوف بين الآلهة، كيوبيد ابن آلهة الحب والجمال... مهمته إلقاء أسهم الحب في القلوب... يوقد الجمر في قلب إله الجنون، يكيده، يستثير غضبه، يخليه كمدًا، يشي بينه وبين الآلهة، يتسبب في كل ذلك الجنون والصياح... يفتعل له المكائد، يعلم إله الجنون بتلك المكائد، يتشاجر مع كيوبيد، يخرج وسط المشاجرة سهمًا، يصيب عيني كيوبيد، يصير الحب أعمى أبدًا، تتضجر نفس إله الجنون، يصطحب كيوبيد، يسوقه يقوده، يهديه إلى الطريق...
يصبح الحب أعمى والجنون قائدًا له... أراقب المشهد بتوجس، أرقب عيني كيوبيد بإشفاق، أضع يدي على بصري لأغمضه؛ أفيق هلوعة... تنتهي الأسطورة بفواقي منها... عين المشهد المنصرم... أشرد قليلًا، أبتسم بخبث... تلوح بخاطري فكرة، أصلح بها روتين يومي وإياه...
أتوجه ناحية الأريكة حين يجلس، لمعت في ذهني فكرة لاستغلال ذلك القبس الفرعوني، أذهب إليه مسرعة... أوجه عين حورس ناحية بصر زوجي دون تعقيب... أحضر كتابًا ليقرأه... نتوجه إلى قراءة تمثيلية جديدة...

( روميو وجوليت)...